# ماذا في القبور؟

الحمد لله المحيي المميت؛ كتبَ الموتَ على العباد، وأنذرهم يوم المعاد، وحذَّرَهم من الغفلة والعناد، نحمده على هدايته، ونشكره على رعايته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ [الحج: 66] وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ أنصح الخلق للخلق، وأحرصهم عليهم، وأرأفهم بهم.. أوصى أمته بكثرة ذكر الموت، وبزيارة القبور؛ لئلا يغتروا بزينة الدنيا فيتركوا العمل للآخرة، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: ...

## عذاب القبر ونعيمه

جعل الله تعالى القبر برزخًا بين الدنيا والآخرة، فهو انقطاع عن الأولى وإقبال على الأخرى، وهو مشترك بين الدارين؛ فمكانه في الأرض وهي من الدنيا، وفترة بقاء الميت فيه هي من زمن الدنيا أيضًا، ولكن المقبور فيه يعامل معاملة الآخرة لا معاملة الدنيا؛ ولذا كان القبر أول منازل الآخرة.

تلك الحفرة الموحشة المظلمة أسهرت ليالي الصالحين؛ خوفاً منها، وتفكرًا فيها، ودعاء بالنجاة من عذابها.

حفرة ضيقة يوسد الميت فيها، ثم يهال التراب عليه فلا نفس فيها ولا فرجة ولا ضوء ولا هواء ولا شيء معه إلا كفنه وعمله، ويبلى الكفن ويبقى العمل.

وآخر لمسة يظفر بها مقبور من بشر مثله هي لمسة من يوسده في لحده، وآخر نظرة تصيبه هي نظرة من يضع آخر لبنة عليه، ثم ينقطع عن البشر، فلا يبقى إلا العمل، وآخر

إحساس له بالبشر في تلك اللحظات حين ينتهون من دفنه، ويتولون عنه وهو يسمع قرع نعالهم؛ كما جاء في الحديث...

✉يا لها من نهاية تستحق الوقوف عندها، والتفكر فيها، والعمل لها... نهاية قد صار إليها عدد كبير من أقاربنا وأحبابنا وخاصتنا، وحتمًا سنصير إليها، وسيقف واعظ وخطيب وداعية يذكر الناس بنا، كما ذكرهم من قبل بغيرنا، ولكن الإنسان ينسى، والقلوب تقسو، والغفلة مطبقة.

✉كم من واقف على شفير قبر يتأمل الميت وهو مسجى، ويتساءل: أهو فرح بمصيره أم حزين؟ ما مصيره؟ ماذا يتمنى وماذا يريد؟ فلا يقطع تفكيره إلا صوت يقول: سلوا له الثبات، فتتحرك الألسن بالدعاء ومن كان المقبور عزيزًا عليه، قريبًا منه؛ مكث عند قبره مليًا يلهج بالدعاء له حتى يشبع نهمته فيفارقه، فلا يجف قبر الميت من مائه وحوله أحد... قد تفرق الجمع، وولى عنه أحب الناس إليه، فيقابل مصيره وحده، ويتحمل تبعة عمله؛ فإن خيرا فخير، وإن شرا فشر... فاللهم أيقظ قلوبنا من الغفلة، وأزل عنها السكرة، ووفقنا للعمل الذي يجعل قبورنا روضة.

✉ أخواتي الحبيبات القبور وما يجري فيها عالم عجيب يدل على قدرة الخالق سبحانه وتعالى، وسعة ملكه، فله سبحانه عوالم أخرى غير عالمنا، لا ندركها بحواسنا ونحن أحياء، ولولا أن الله تعالى أخبرنا عن القبر وما فيه؛ لكان غيبًا لا نعلم منه شيئًا، فلا يُدرك القبر وما فيه بالبحث ولا بالتجربة ولا بالتنقيب ولا بالحساب ولا بغيرها من علوم البشر ووسائلهم... لا يُدرك علم ما فيه إلا بالوحي، ومن لا يؤمن بالوحي لا بد أن يكذب بنعيم القبر وفتنته وعذابه.

✉إن الإيمان بعذاب القبرِ ونعيمِه للرُّوح والجَسَدِ مَعَاً، وسؤالِ الملَكين للميّت في قبره من أُمور العقيدة الْمُجمع عليها عند أهل السنةِ والجَمَاعة، بدليل القرآنِ الكريمِ، والسنةِ النبويةِ المباركة، وإجماع علماءِ المسلمين، وسبقَ الحديث عن ذلك في اللقاء الماضي، وفي هذا

**اللقاء إن شاء الله نتحدَّث عن بعض الأدلة من القرآن الكريم وسُنة النبيِّ صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر ونعيمه.**

## 🗐أحاديث عذاب القبر ونعيمه متواترة في القرآن والسنة:

⇦الاشارات القرانية التي تدل على عذاب القبر:

❶ قوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾الأنعام 93

⇦وهذه الآية التي ساقها البخاري هي في تعذيب الملائكة للكفار في حال الاحتضار

⇦فلم يقل الملائكة غدًا، ولم يقولوا ستجزون بل قالوا﴿ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ ﴾.

❷ قوله تعالى:﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ التوبة101

⇦وهذه الآية تدل على أن هناك عذابين سيصيبان المنافقين قبل عذاب يوم القيامة، العذاب الأول ما يصيبهم الله به في الدنيا إما بعقاب من عنده وإما بأيدي المؤمنين، والعذاب الثاني عذاب القبر، قال الحسن البصري: سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ [التوبة: 101]: (عذاب الدنيا، وعذاب القبر). رواه الطبري الدرر السنية

❸ قوله تعالى:﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ –النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾غافر 45 – 46

⇦وهذه الآية الثالثة حجة واضحة لأهل السنة الذين أثبتوا عذاب القبر، فإن الله تبارك وتعالى قرر أن آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً، وهذا قبل يوم القيامة، لأنه قال بعد ذلك: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ [غافر: 46].

قال القرطبي: «الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر».

قال القاضي ابن الطيب رحمه الله تعالى: «اتفق المسلمون أنه لا غدو ولا عشي في الآخرة، وإنما هو في الدنيا، فهم معروضون بعد مماتهم على النار».

❹ قوله تعالى:﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ السجدة 21

⇦فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين: أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنه بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال: من العذاب الأدنى ولم يقل: (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ)، فتأمله." [مختصر كتاب الروح لابن القيم، ص٦٤]

وهذا مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فَيفتح لَهُ طَاقَة إِلَى النَّار فيأتيه من حرهَا وسمومها وَلم يقل فيأتيه حرهَا وسمومها فَإِن الذي وصل إِلَيْهِ بعض ذَلِك وبقي لَهُ أَكْثَره والذي ذاقه أَعدَاء الله فِي الدُّنْيَا بعض الْعَذَاب وبقي لَهُم مَا هُوَ أعظم مِنْهُ)

**الدلائل من السنة النبوية على عذاب القبر:**

❶ وعن الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم:27] قال: نَزَلَتْ في عَذَابِ الْقَبْرِ» رواه الشيخان.

❷وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه:124] قال: عذاب القبر»رواه ابن أبي شيبة والحاكم بإسناد جيد.

❸عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : ( دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَقَالَتَا : إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ ، قَالَتْ : فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ دَخَلَتَا عَلَيَّ فَزَعَمَتَا أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ ، فَقَالَ :صَدَقَتَا إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ قَالَتْ : فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلاَةٍ إِلاَّ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ) رواه مسلم.

⇦وفي رواية لأحمد قالت عائشة رضي الله عنها:«فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ نِصْفَ النَّهَارِ مُشْتَمِلاً بِثَوْبِهِ مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ وهو يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ، أَيُّهَا الناس: أَظَلَّتْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، أَيُّهَا الناس: لو تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، أَيُّهَا الناس: اسْتَعِيذُوا بِالله من عَذَابِ الْقَبْرِ فإن عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ».

❹وفي حديث البراء رضي الله عنه أن الله تعالى يقول في الكافر بعد أن سئل في القبر فلم يجب:«أَنْ كَذَبَ فافرشوه من النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ من النَّارِ وَافْتَحُوا له بَابًا إلى النَّارِ قال فَيَأْتِيهِ من حَرِّهَا وَسَمُومِهَا قال وَيُضَيَّقُ عليه قَبْرُهُ حتى تَخْتَلِفَ فيه أَضْلَاعُهُ»رواه أبو داود.

✉وقال بعض أهل العلم: ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم إذا مَغَلَت إلى قبور اليهود والنصارى والمنافقين كالإسماعيلية، والنُّصَيْرِيَّة، والقَرامِطة من بني عُبيد... وغيرهم الذين بأرض مصر والشام، فإن أصحاب الخيل يقصدون قبورهم لذلك كما يقصدون قبور اليهود والنصارى، قال: فإذا سمعت الخيل عذاب القبر أحدَثَ لها ذلك فزعًا وحرارة تذهَب بالمغل.
(مغص يصيب الدواب إذا أكلت التراب مع العلف). قال ابن القيم كما في كتاب "الروح" (ص 72)

📝سماع الرسول صلى الله عليه وسلم أصوات المعذبين:

❺ وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ (بستان) عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ، وَنَحْنُ مَعَهُ إِذْ حَادَتْ بِهِ، فَكَادَتْ تُلْقِيهِ وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ، قَالَ: كَذَا كَانَ، يَقُولُ: الْجُرَيْرِيُّ، فَقَالَ :"مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟ "، فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا قَالَ: فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟، قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ؟، فَقَالَ: " إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ). صحيح مسلم

⇦لا تدافنوا: أي مخافة أن لا تدافنوا.

❻وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: (خَرَجَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وقدْ وجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَقالَ: يَهُودُ تُعَذَّبُ في قُبُورِهَا). صحيح بخاري

❼ وعن ابن عباس: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ فَأَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا. بخاري ومسلم

❽ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)

وكان النبي يستعيذ بالله من عذاب القبر دبر كل صلاة **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** –رضي الله عنه–قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللهِ** –صلى الله عليه وسلم–: **"إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ"**. مسلم

وفي حديث (اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَرَبَّ إِسْرَافِيلَ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ حَرِّ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) صححه الالباني

⇦هذا ما ينبغي اعتماده في مدة الحياة من التوسل إلى الله بالنجاة منه والابتهال إليه في الصرف عنه.

❾ ومثّل صلى الله عليه وسلم فتنة القبر بفتنة الدجال، وهي أعظم فتنة بين خلق آدم وقيام الساعة؛ ففي حديث الكسوف قال صلى الله عليه وسلم: «فَأُوحِيَ إلي أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ في قُبُورِكُمْ مِثْلَ أو قَرِيبًا -شك الراوي-من فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» رواه البخاري.

❿عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ) .

لا دريت ولا اتبعت من يدري.

## ✉سماع غير الرسول صلى الله عليه وسلم أصوات المعذبين:

✉لم يزل بعض الناس يتحدثون عن سماعهم أو رؤيتهم للمعذبين في قبورهم، ومن هؤلاء ثقات أعلام لا مطعن في دينهم وأمانتهم، يقول ابن تيمية في ذلك: " قد يكشف لكثير من أبناء زماننا يقظة ومناماً، ويعلمون ذلك ويتحققونه، وعندنا من ذلك أمور كثيرة " مجموع الفتاوى.

🗐ومن أحوال أهل القبور أن أماكنهم في الدار الآخرة تعرض عليهم وهم في قبورهم؛ ليزداد المنعمون فرحًا إلى فرحهم، ويزداد المعذبون حسرة على حسرتهم، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» متفق عليه.

🗐**أدلة نعيم القبر:** دلَّت نصوصٌ كثيرةٌ من القُرآن والسُّنَّة على نعيم القبر:

❶قوله تعالى :﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ *فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ ]الواقعة: 88، 89[

❷ذكر الرسول -صلى الله عليه وسلم -في حديث البراء بن عازب أن الملائكة تسأل العبد المؤمن في قبره فيحسن الإجابة، وعند ذلك [فيُنادي مُنادٍ مِنَ السَّماءِ أنْ صَدَقَ عبدي، فأفْرِشوه مِنَ الجنَّةِ، وألْبِسوه مِنَ الجنَّةِ، وافتَحوا له بابًا مِنَ الجنَّةِ، فيأتيه مِن رُوحِها وطيبِها، ويُفسَحُ له في قَبرِه مَدَّ بَصَرِه، ويأتيه رجلٌ حسَنُ الوجهِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فيقولُ له: أبشِرْ بالَّذي يسُرُّكَ، فهذا يومُكَ الَّذي كنتَ تُوعَدُ، فيقولُ: مَن أنتَ؟ فوَجْهُكَ الوَجهُ الَّذي يأتي بالخيرِ، فيقولُ: أنا عمَلُكَ الصَّالِحُ، فيقولُ: ربِّ أقِمِ السَّاعةَ! ربِّ أقِمِ السَّاعةَ! حتَّى أرجِعَ إلى أهلي ومالي)

❸قال تعالى "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ" [إبراهيم: 27]

✉قال ابن القيم: الخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت، ومادة التثبيت أصله ومنشؤه من القول الثابت وفعل ما أمر به العبد، فبهما يثبت الله عبده، فكل من كان أثبت قولا وأحسن فعلا كان أعظم تثبيتا.

❹( أنه يفسح فيه سبعين ذراعاً، ويملأ عليه خضراً إلى يوم تبعثون)رواه مسلم

❺بعدما يوفق لأسئلة القبر قال صلى الله عليه وسلم (ثمَّ يفسحُ لَهُ في قبرِهِ سبعونَ ذراعًا في سبعينَ ثمَّ ينوَّرُ لَهُ فيهِ ثمَّ يقالُ لَهُ نم فيقولُ أرجعُ إلى أَهلي فأخبرُهم فيقولانِ نم كنومةِ العروسِ الَّذي لا يوقظُهُ إلَّا أحبُّ أَهلِهِ إليْهِ حتَّى يبعثَهُ اللَّهُ من مَضجعِهِ ذلِكَ) صحيح الترميذي

📝مسألة: كيف نُوفق بين حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ) وبين قوله تعالى (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ)؟ قال تعالى:﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾

⇦فسياق الآية يدل على أن المراد منها أن الكافر الميت القلب لا تقدر على إسماعه إسماعاً ينتفع به، كما أن من في القبور لا تقدر على إسماعهم إسماعاً ينتفعون به ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئاً البته ، وهذه الآيه نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ نفي إسماع الصم مع نفي اسماع الموتى : يدل على أن المراد عدم أهلية كل منهما للسماع أي سماع الفقه والانتفاع، وأن قلوب هؤلاء لما كانت ميته صماء كان اسماعهم ممتنعاً بمنزلة خطاب الميت والأصم.

قال ابنُ جرير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية 36/21:(هذا مَثَلٌ معناه: فإنك لا تَقدر أن تُفهِم هؤلاء المشركين الذين قد خَتم الله على أسماعهم، فسلَبهم فَهم ما يُتلى عليهم من مواعظ تنزيله، كما لا تقدر أن تُفهم الموتى الذين سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعًا).

ثم روى بإسناده الصحيح عن قتادة قال: "هذا مَثَلٌ ضربه الله للكافر، فكما لا يسمع الميتُ الدعاء كذلك لا يَسمع الكافر، ﴿ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ﴾ أي: لو أن أصَمَّ ولَّى مُدبرًا ثم ناديتَه لم يَسمع، كذلك الكافرُ لا يسمع ولا ينتفع بما سمع.

⇦وحقيقة المعنى: إنك لا تستطيع أن تسمع من لم يشأ الله أن يسمعه إن أنت إلا نذير.

**✉وقد اختلف العلماء في مسألة سماع الأموات كلام الأحياء، فمنهم من قال بأنهم يسمعون كلام الأحياء، ومنهم من نفى ذلك، واستدل المثبتون بأدلة منها:**

1- في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ ، فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ).

2-اخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم يسمعون خفق نعال المشيعين (إنَّه ليسمع خفق نعالهم ).

3- شرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع، وثبت في الصحيحين أنه كان يأمر بالسلام على أهل القبور ويقول : ( قولوا السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم ) فهذا خطاب لهم وإنما يخاطب من يسمع .

4-وأخبر أن من سلم على أخيه المؤمن رد عليه السلام ففي الصحيحين: (مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ رَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ).

✉قد ساق ابن تيميَّة جملة من الأحاديث التي تدل على أن الموتى يسمعون، ثم قال :فهذه النصوص وأمثالها تبين أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا يجب أن يكون السمع له دائماً بل قد يسمع في حال دون حال، وهذا السمع سمع إدراك، ليس يترتب عليه جزاء ولا هو السمع المنفي بقوله : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ ، فإن المراد بذلك سمع القبول والامتثال. مجموع الفتاوي

⇦وهذا قول الإمام ابن تيمية والحافظ ابن كثير والحافظ ابن رجب وغيرهم ...
⇦والحق الذي لا مراء فيه أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا يلزم أن يكون السمع له دائماً، بل قد يسمع في حال دون حال، كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية، وأما دعوى المخالفين: الخصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم فلا دليل عليها في هذه المسألة.إسلام ويب

✉إن تذكر القبر وأحواله، وزيارة القبور بين حين وآخر؛ حتم لازم لمن أراد حياة قلبه، وخشوعه في عبادته، وبناء آخرته، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ بِالْمَوْتِ» رواه أبو داود.

✉ولذات الدنيا مشوبة بالتنغيص، وزمانها مول، والعاقل من فكر في هاتين الدارين: (وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى) [النساء: 77] (أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ) [النساء: 78].

📧إذًا، صائرون إليه لا محالة، لو كنا في حصون منيعة وعالية، فلا بد أن يأتينا يوماً.

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ *** وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

✉وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقعد إلى القبور فقيل له في ذلك فقال: «أجلس إلى قوم يذكرونني معادي، وإن قمت عنهم لم يغتابوني».

✉وقيل لبَعض الزهاد: «مَا أبلغ العظات؟ فَقَالَ: النّظر إِلَى محلّة الْأَمْوَات».

⇦ وذلك أن زائر القبور يرى أهل القبور قد تركوا جميع ما يملكون وراءهم، إلا أكفانهم وأعمالهم فيعتبر بذلك.

⇦وزائر القبور يرى أهلها لا يستطيعون العمل، ولا اكتساب حسنة واحدة؛ فيسعى للعمل والاكتساب مادام قادرا عليه.

✉قَالَ أَبُو ذر رضي الله عنه: «أَلا أخْبركُم بِيَوْم فقري! يَوْم أنزل قَبْرِي».

✉ونظر الحسن رحمه الله تعالى إلى ميت يدفن فقال: «إن شيئاً أوله هذا لحقيق أن يخاف آخره، وإن شيئاً هذا آخره لحقيقٌ أن يزهد في أوله».

📃وقد رأيتم وسمعتم عن أثرياء يملكون ميزانيات دول، صاروا إلى القبور بلا شيء من دنياهم، كان الناس في حياتهم يغبطونهم، ثم بعد وفاتهم يدعون لهم بالعون على حسابهم!

وفي الختام :

📄ألا فلنتعظ بمن مضوا إلى قبورهم قبلنا، فعن قريب سنكون عظة لغيرنا، والسعيد من قدم على الله تعالى بخير ما عمل، والشقي من تمادى به التسويف حتى مات بلا عمل،﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ *لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ]المؤمنون:99 - 100.[

فالموت :عاقبة كلِّ حيّ، وخِتام كلِّ شيّ، ونهاية كلِّ موجود، سوى الربِّ المعبود، يستوي فيه المالك والمملوك، والسيّد والمسُود، فلا مفرَّ منه ولا مَحِيص عنه، ولا مَناص من سُلطانه، ولا إفلات من شِباكه، فهو سنَّة الله في خَلقه، ولن تجد لسنَّة الله تبديلاً، فمهما عاش المخلوق فهو إلى الموت صائر، قال تعالى :﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ *وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ الرحمن: 26، 27

⇦فالكلُّ سيموت، غير ذي العزَّة والجبروت.

📝أيها الغافل، ربح القوم وخسِرت، وساروا إلى الحبيب وما سِرت، وقاموا بالأوامر وضيَّعت ما به أُمِرت، وسلموا من رِقّ الهوى واغتررت فأُسِرت، فالدنيا تخدمُهم والسعادة تقدمهم حين يحشرون؛﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾المطففين: 26

أيقَظَنا الله وإيَّاكن لمصالحنا، وعصَمَنا من ذُنوبنا وقَبائحنا، واستعمَلَ في طاعته جميعَ جوارحنا.